مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (35) العدد (6) 2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (35) No. (6) 2013

المنهج التعليمي الأكاديمي للرسم والتصوير في كلية الفنون – أدنبرا بين التقليد والمعاصرة
" في العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين "

الدكتور شفيق اشتي*

(تاريخ الإيداع 9 / 4 / 2013. قُبِل للنشر في 2/ 7 / 2013)

∇ ملخّص ∇

لا شك أن التدريس المنهجي في معاهد الفنون الجميلة وكلياتها في أيٍّ مكان أو زمان كان وما زال له دور فعَّال ومهم، ليس في تطوير الفنون التشكيلية بمختلف أطيافها وتنوعاتها في تقديم أسماء عالمية مشهورة قلبت مفاهيم الفن التشكيلي في العصور الحديثة واللاحقة فحسب، بل وأيضا لها دور مهم وسبّاق بوصفها مقياساً تقدميّاً في بناء حضارة الإنسان والمجتمع وتطويرها، ومن هنا يرى الباحث أنه من الضرورة العلمية الملحة أن نطلع على بعض منها في وقتنا الحاضر، ودراسة تأثيرات الفنون المعاصرة والتغيرات التي طرأت خلال العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين في أنموذج اقتدى به الباحث، هو المنهج التعليمي الأكاديمي في كلية الفنون الجميلة في بريطانية– أدنبرا عامةً؛ وفي قسم التصوير الزيتي والرسم خاصةً، وذلك للكشف عن التداعيات الإيجابية أو السلبية في الجانبين النظري والعملي، ثم التوقف عند أهم التطورات التي أُنجزت على هذا المنهج التقليدي، وعن مدى تماشيه مع تأثيرات الحداثة والمعاصرة، ومدى التوافق بين التقليد الماضي ومتطلبات الحاضر، كما يتطرق الباحث إلى منهج كلية الفنون الجميلة بدمشق / قسم التصوير/ وإجراء مقارنة لتحديد أوجه الاختلاف بينه وبين منهج قسم التصوير– كلية الفنون الجميلة – أدنبرا . ويخلص البحث إلى نتائج مهمّة وتساؤلات وتوصيات تفيد العملية التدريسية وتطويرها، ولاسيَّما في قسم التصوير في كلية الفنون بدمشق.

الكلمات المفتاحية: المنهج التعليمي – الرسم والتصوير – التقليد – المعاصرة .

*أستاذ – قسم التصوير والرسم – كلية الفنون الجميلة – جامعة دمشق – دمشق – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (35) العدد (6) 2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (35) No. (6) 2013

Painting at the Edinburgh between tradition and Academic curriculum of drawing and modernity "In the last decade of the twentieth century and the beginning of the twenty-first century "

Dr. Shafik Eshtai *

(Received 9 / 4 / 2013. Accepted 2 / 7 / 2013)

∇ ABSTRACT ∇

There is no doubt that systematic teaching at the institutes and colleges of Fine Arts role not place or at any time was and still has an active and important pole not only in the development of plastic arts and their various kinds in presentation of famous international names overturned concepts of plastic art in modern and subsequent times, but also have an important and forerunner role as a progressive measure in building and development of society and human civilization, hence researcher considers that it is of scientific pressing necessity to be acquainted with some of them at the present time and study the effects of contemporary arts and the changes that have occurred during the last decade of the twentieth century and the beginning of twenty-first century on a model abided by the researcher . that is the academic curriculum at the Faculty of Fine Arts in Britain, Edinburgh in general and the Department of Painting and Drawing in particular, so as to detect the positive or negative association of ideas in both theoretical and practical aspects then to stop at the most important developments that have been completed regarding this traditional curriculum and the extent of compatibility with the effect of modernity and contemporaneity, and extent of conformity between tradition of the past and the present requirements . The researcher also deals with the curriculum of the Faculty of Fine Arts in Damascus – in the painting department and submission a comparison a in determining aspects of the differences between it and the painting department at the Faculty of Fine Arts – Edinburgh. The study concludes significant result, questions and recommendation for the benefit of teaching process and development, especially in painting department at the Faculty of Arts in Damascus.

Keywords: Academic curriculum - Painting - tradition – modernity.

* **professor, department painting and Drawing, faculty of fine arts ,Damascus university, Damascus, Syria.**

مقدمة:

درجت العادة أن البحوث والدراسات النقدية التشكيلية المتناولة في زمننا المعاصر تدور حول الاتجاهات الإبداعية والأساليب التشكيلية المبتكرة في المحافل والمعارض الدولية، إن كانت في دور المتاحف والثقافة، أو في صالات العرض، في حين أن الدراسات النقدية حول المناهج التعليمية للفنون التشكيلية وتأثير الفن المعاصر فيها نادرة وغير موجودة على المستويين المحلي أو العالمي، وتكمن مشكلة البحث في تساؤلات عديدة أهمها : هل هذه التأثيرات تعدُّ مشكلة تقف عائقًا في وجه المناهج الأكاديمية التقليدية في تعلّم حرفةِ التصوير والرسم من الطالب، وعليه هل تحد من موهبته ؟ أم تعدُّ حافزًا مهمًّا يفتح أمامه أفْقاً من الابتكارات والتجارب التشكيلية تعكس تطلعاته المستقبلية وذلك في إثراء أفكاره وأدواته، أم أن هذه التأثيرات ساعدت في تطوير التعليم التقليدي للتصوير والرسم، فأغنت التعليم المهني ودعَمته بوصفه حرفةَ وإبداعاَ غير مقيدين في آنٍ واحدٍ، وذلك في قسم الرسم والتصوير / كلية الفنون الجميلة في أدنبرا ؟

أهمية البحث وأهدافه :

تكمن **أهمية البحث** في إرساء أوَّل خطوة علمية متواضعة (دراسة تحليلية نقدية مقارنة) غير مسبوقة تتناول مدى تأثير الفن المعاصر في المناهج التعليمية للتصوير والرسم بجزأيه النظري والتطبيقي العملي في كلية الفنون الجميلة في أدنبرا في العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، وإسقاط هذه الخطوة على منهج قسم التصوير في كلية الفنون الجميلة في دمشق بغاية المقارنة المفيدة.

كما يعدُّ هذا البحث أصيلا وجديدا لم يسبق لأحدٍ أن تطرق إليه، إذ واجهت الباحث صعوبات ومعوِّقات من حيثُ ندرة المصادر والمؤلفات المرجعية؛ مما تطلب منه الاعتماد على إنتاجات الطلبة التطبيقية والعملية، والجولات الميدانية فضلاَ عن اللقاءات مع المختصين، والأساتذة في بريطانية وسورية.

يهدف البحث إلى:

1- تسليط الضوء على تطور المنهج الأكاديمي للفنون الجميلة – في الرسم والتصوير الزيتي في بريطانية – أدنبرا – بوصفها مدرسةَ لها عراقة وتقاليد.

2- الكشف عن أهم التأثيرات والمتغيرات التي طرأت على ذلك المنهج في ظل العولمة المعاصرة خلال العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين.

3- تقديم دراسة تحليلية نقدية مقارنة لمجموعة أعمال مصورة مختارة من مشروعات الطلبة في مراحل زمنية مختلفة في قسم الرسم والتصوير في كلتا الكليتين أدنبرا ودمشق .

4- إبراز النقاط التي تعمل على تقوية العملية التدريسية الأكاديمية وتفعيلها وتطويرها حصرًا في قسم الرسم والتصوير فيما يتعلق بالجانبين العملي والنظري.

5- تقديم دراسة مقارنة بين منهج قسم الرسم والتصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق و المنهج الأكاديمي لكلية الفنون في أدنبرا وإبراز أهم وجهات الاختلاف بينهما .

طرائق البحث ومواده:

يتضمن البحث:

–لمحة تمهيدية تاريخية ملخصة عن تطور المنهج الأكاديمي للفنون الجميلة في أوروبا بدءًا من القرن السادس عشر الميلادي.

–تأثير الفن الحديث والمعاصر في المنهج التدريسي في قسم الرسم والتصوير الزيتي – في كلية الفنون أدنبرا – بريطانيا.

–المنهج التدريسي في قسم الرسم والتصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق – دراسة تحليلية نقدية مقارنة.

النتائج والمناقشة:

أدت المناهج الأكاديمية للفنون الجميلة دورًا كبيرًا في نهوض الفن التشكيلي وتطوره منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وتعدُّ إيطاليا المهد الأول لولادة هذا النوع من المدارس التعليمية الأكاديمية، وترجع أسباب ولادتها إلى ظهور الأسلوب المنهجي الذي جاء ردًّا على تزمت قوانين عصر النهضة المتمثلة بالنسب الذهبية المتعلقة بالمدارس الفنية الكلاسيكية القديمة الإغريقية والرومانية (موري، 2003)، وانطلقت فكرة بناء أسس المدرسة الأكاديمية وقواعدها من الأسلوب المنهجي (بهنسي، 1976)، وكانت أكاديمية Crrachi من أولى الأكاديميات التعليمية التي أسسها وبناها الأخوة الثلاث، وحدث ذلك في أواخر القرن السادس عشر في مدينة بولون في إيطاليا؛ فاعتمدت حينها الأسس والمرتكزات التدريسية، من دمج أساليب متنوعة وتوحيدها جمعت الكلاسيكية والواقعية الدقيقة المتمثلة بأسلوب كل من قوة الرسم لدى رافائيلوا ودقة التشريح لدى مايكل أنجلو ومهارة اللون لدى ليوناردو دافنشي، فضلاًعن الفن اللومباردي والمنهجية التي اعتمدها الفنان كارافاجيو، وبذلك أوجد الأخوة الثلاث (Annibale Carracci) 1590–1609 (واشتهر على رأسهم الأخ الأصغر هانيبال) قواعد هذا الأسلوب المركب الجديد الذي سمي بالفن الأكاديمي.

بعد ذلك انتشرت المدارس الأكاديمية الجديدة في أرجاء أوروبا مثل فرنسا، بريطانيا ودول شمال أوروبا وأيضًا روسيا ، كما في الشكل(1) (Organson, Clindoghof, 1988)، وذلك عن طريق الفنانين الشباب الذين سافروا إلى إيطاليا لتعلم الرسم والتصوير الزيتي. مثلا (Joshua Reynolds) جاشوا رينولدز (1679 – 1723)، الذي تلقى دراسته في إيطاليا وفلورنسا والبندقية (بهنسي، 1976) ، وحين عودته قام بتأسيس الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة في لندن.

الشكل (1)– رسم أكاديمي تعليمي لعناصر نحتية لطلبة كليتي العمارة والفنون في روسيا

لا شك أن هذه المدارس الأكاديمية المنتشرة في أوروبا أنجبت معظم رواد الفن الحديث الذين كان لهم دور كبير في خلق مدارس واتجاهات فنية عالمية حديثة وابتكارها، ما بين نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن العشرين من الكلاسيكية المحدثة إلى الرومانتيكية إلى الاشتراكية، هذه المدارس الحديثة والحركات الفنية تضمنت قواعد ومبادئ متجددة ومستقلة ذات معايير ومقاييس فنية جديدة للعمل الإبداعي تخطت قواعد العلوم الأكاديمية الفنية وتجاوزتها، ويعود الفضل في نجاح معظم رواد هذه المدارس والحركات الفنية إلى امتلاكهم مهارات الحرفة وأدواتها بصورة متزامنة مع الحرية المتاحة لهم في البحث والتعبير عن الهواجس الذاتية مستفيدين من تلك الخبرات الأكاديمية التي تلقوها في أثناء دراستهم (ROSTOVETSEV, 1983).

إن استمرارية هذه المدارس والحركات الفنية الحديثة على الساحة التشكيلية قد ولدت اتجاهات فنية مبتكرة ومميزة، ولاسيَّما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، التي سميت بفنون الحداثة ثم ما بعد الحداثة[1]. بينما شهدت المرحلة من بداية الستينيات من القرن الماضي وإلى ما نحن عليه حركات عديدة في التطور الفني والمتواصل، منها في مجال الفن اللاموضوعي بالاعتماد على صور جديدة للتعبير عن علاقة التطور العلمي و التكنولوجي وما رافقه من متطلبات الحياة الجديدة القائمة على الاقتصاد الاستهلاكي ووسائل الدعاية عبر الفضائيات والإنترنت ، وقد سميت هذه التيارات بأسماء شتى كالفن البصري و الفن الحركي وغيره، وهنا يمكن الإشارة إلى بعض المقالات العلمية وإن كانت قليلة والمتعلقة بعنوان بحثنا وهي ورقة "مفهوم الفن التشكيلي المعاصر ودوره" للباحث فايز الغول وفيها يؤكد أهمية تفاعل الطلبة مع الفنون الحديثة والمعاصرة عندما يقول: "بضرورة التثقيف والممارسة واستعمال الأدوات التكنولوجية الحديثة ومفاهيم الفن الحديثة" (الغول، 1996)، وهو يحث الطلبة في هذا البحث على استخدام التكنولوجيا وأدواتها المعاصرة في تجسيد أفكارهم وإبداعاتهم الفنية، لكنه لم يتطرق إلى مدى تأثير الفنون المعاصرة في الدور التعليمي

1 فنون ما بعد الحداثة: بدأت بوادرها بالظهور بعد الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين– Post modernity أو Postmodernité تعالج المنهج والنظرية النقدية فلسفياً ومعرفياً، و Post modernism ممارسة عملية وتطبيقاً لهذه المنهجية والنظرية على حقل معيّن من مثل الأدب أو الفن أو الموسيقى أو العمارة...ويرى أن ما بعد الحداثة تخلط بين المظاهر الاجتماعية والفكرية والثقافية، وأنها ردة فعل على الحداثة كما هو متفق عليه بين الكثير من آراء المفكرين.(الهاني 2007)

الأكاديمي في الجامعات المحلية على اعتبار أنَّ هذا الدور مهم جدًّا إلى جانب مفهوم التعليم الأكاديمي الآني في الرسم والتصوير.

وعليه فإن التأثير سيكون على المناهج التعليمية للفنون الجميلة في ظل العولمة والتكنولوجيا، وعلى الأخص ذلك التأثير الواضح على تقاليد المنهج التدريسي الأكاديمي في كلية الفنون في أدنبرا في بريطانيا (أواخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين)، وهذا جانب مهم ، نلاحظ تغيراته ليس في أعمال الطلبة فحسب، بل في المنهج والخطط الدرسية .

في دراستنا هذه نقدم نماذج من أعمال الطلبة تثبت تأثير الاتجاهات الفنية المعاصرة في أعمال الطلبة من جهة ومن جهة أخرى على المنهج المدرسي الأكاديمي، ممَّا يبرز دورا مميزا ومهماَ و ذا وظائف عديدة في تلازم الخطط الدرسية في تطبيق المناهج التعليمية الأكاديمية، مع مواكبة اللوحة المعاصرة في صالات العرض ودور الثقافة والمهرجانات من ورشات عمل ولقاءات أو بينياليات عالمية ومتاحف وصالات عرض الخ... هذه القضايا جميعها تلبي رغبات الطلبة وتطلعاتهم في جميع مستوياتهم والذين هم – من دون شك– على اطلاع واحتكاك مع هذه الاتجاهات والتيارات الفنية المعاصرة المنفتحة على العالم الذي أصبح قرية كونية صغيرة تهيمن عليه علوم الاتصالات الحديثة والتكنولوجيا المتطورة والمقرونة بثورات التطور والابتكار في شتى المجالات، وما يصب في مصلحة بحثنا من فوائد علمية اختار الباحث كلية الفنون الجميلة في أدنبرا أنموذجاً لدراسة هذه التأثيرات وهذا الاختيار يعود لأسباب منها:

1. تعود هذه الكلية إلى أكثر من مئتين وخمسين عامًا ، وتعدُّ معلمًا أثريًّا وفنيًّا مهماً ،فضلاً عن أنَّها تعدُّ من أوائل معاهد الفنون التشكيلية القديمة والأساسية في بريطانيا.

2. إن منهجها التعليمي عصري متوازن، يجمع بين فنون المعاصرة وبين التعليم المنهجي الأكاديمي.

3. تعدُّ مدينة أدنبرا من المدن المهمّة، وهي عاصمة اسكوتلندا في شمال بريطانيا، وأهميتها تكمن في عمارتها القديمة وتقاليدها الثقافية والفنية التشكيلية العريقة من خلال متاحفها ومكتبتها العالمية في جامعة أدنبرا ، و وفقاً لتقدير الباحث فإن المعالم المعمارية وطبيعتها الجميلة لها دور تأثيري وفعال في تطور مناهج الدراسة التعليمية، ولاسيَّما في مسيرة هندسة المنظر الطبيعي ومناهج تعليمية أخرى في الفنون الجميلة بشتى مكوناتها.

– المنهج التدريسي في قسم الرسم والتصوير الزيتي في كلية الفنون – أدنبرا بين التقليد والمعاصرة خلال العقدين الأخيرين:

إن تطور مسار الفنون التشكيلية بدءًا من منتصف القرن العشرين أصبح أكثر ارتباطًا مع تطور البحوث التكنولوجية العصرية في ظل العولمة، فإذا كانت التكنولوجيا والعولمة هما الجسد فإنّ الإبداعات في الفنون الجميلة هي مرآة روحه. ومن هنا نرى أن تقدم الحضارات الإنسانية تعدّ بمنزلة رافد أساسي تقتات منه الفنون التشكيلية بمختلف صورها واختصاصاتها، بغض النظر عن الزمان والمكان، إذ أصبح الفن التشكيلي فى هذا العصر يتعامل مع المدركات الحسية للإنسان (الحدس ، اللمس ، الحركة ، السمع)، وهذا – من دون شكّ – يدلُّ على أن الفنون المعاصرة التي أخذت أشكالًا وأنماطًا مختلفة وغريبة تفوق تصورات العقل البشري في تجاوزها لفنون ما بعد الحداثة. ولفهم هذا التأثير ودراسته لابد لنا أن نلقي الضوء على ما توصلت إليه الفنون المعاصرة التي ضمت في طياتها مجموعة من التسميات الفنية المبتكرة وعلى سبيل المثال نذكر بداياتها كان الفن الشعبي (Pop Art) في الستينيات، الفن المركب (compound Art)، وسائل الإعلام والاتصالات (Media, Communication)، وسائل الإعلام الفني Media) (Art، فيديو آرت (video art) ، الفن البصري (Optique art) ، وغيرها إذ لاقت هذه الحركات في عالم الفن

التشكيلي شهرة عالمية عبر دور الثقافة أو المتاحف العالمية وصالات العرض الفنية، التي تجلت في ولادة مفهوم جديد للتصوير الزيتي الذي جسد إرهاصات عصره في أساليب تعبيرية مختلفة ومبتكرة في ظل العولمة والتكنولوجيا المعاصرة (Oliva, 2010).

ومن أهم الحركات الفنية التي تؤدي دورًا رئيسًا في مضمون بحثنا، الفنونُ المركبة (الغول، 1996)، التي مزجت بين النحت والحفر والتصوير حيث خرجت أعمال هذا الفن (compound art) عن سيطرة الفنون الحديثة والمألوفة؛ فاستخدمت الفراغات والمواد المستهلكة التي تثير التحفظ وغرابة الأفكار كما في الشكل (2) (3) (Waldberg *et al*, 1981):

الشكل (2)– Table a moustache
1931 –Joan miro

الشكل (3)– Mer collection
Hans bell– Paris 1938, 15x20 cm

إذ يقول عنها الباحث علي فايز الغول:

"لعل المنطلق الأساسي لهذه الحركة يكمن في محاولة الفنان استثمار معطيات الأحاسيس البصرية والبحث عن الأثر الذي يتركه المشهد المصور في عين الناظر وما يولده فيها من إيهامات بصرية مضللة، وفي ذلك علاقة جدلية بين رؤية موضوعية ورؤية ذاتية، بين ظواهر فيزيولوجية وأخرى نفسانية"[2] في حين يصفها الباحث عادل محمد عثمان

2 ASSEMBLAGE ART العمل الفني المركب أو العمل الفني التجميعي من الفنون التي ظهرت فى حقبة الحداثة، والتي أحدثت فى بداية ظهورها ما يمكن أن نطلق عليه صدمة للجمهور والنقاد وفى الوقت نفسه كان معادلًا تشكيليًّا لكل المتغيرات والتطورات التي سادت كل فروع المعرفة فى القرن العشرين , أيضًا كان للعمل الفني المركب أو فن التجميع دورٌ فاعلٌ فى تغيير مفهوم علم الجمال ودور الفن فى المجتمع , حيث يتواكب هذا النوع من الفن مع فكرة ذوبان الفواصل بين مجالات الفن المختلفة من نحت – sculpture painting and drawing تصوير ورسم – وعمارة architecture وإلغاء التصنيفات التقليدية القديمة لتلك الفنون والتي سيطرت على حركة الفن التشكيلي لعقود عديدة , والعمل الفني المركب أو التجميعي يعدُّ حالة من الانصهار التام بين مجالات الفن المختلفة, فهو يجمع بين أكثر من مجال فني , إذ يمكن للعمل الفني أن يتضمن توظيف أسس بناء تكوين الصورة مع مفهوم الكتلة.

في ورقته البحثية بمصطلح– الفن التجميعي (عثمان، 2007) وهنا لا نوافقه الرأي، فهذه الحركة من أهم الحركات الفنية التي أدت دورًا فاعلًا في ظهور مفاهيم جديدة حول قضية الفن ودوره فى المجتمع وفي تغيير القيم الجمالية الموروثة في حركة الفن التشكيلي ، بل نقول أيضا إنها أعطت هذه الحركة جانبًا آخر في تطوير المنهجية الدرسية في علوم التصوير الزيتي والرسم، ولعل هذا التأثير أو العطاء كان جليًّا في كلية الفنون الجميلة في أدنبرا .

وتقع كلية الفنون في مدينة أدنبرا القديمة القريبة من حرم جامعتها (جامعة أدنبرا) في ساحة جورج التي تأسست الكلية فيها عام 1760. وفي عام 1907 ارتبطت مع جامعة هيريوت وات وأصبح لديها درجاتها العلمية التي تصدرها جامعة أدنبرا. وأخيرًا في 1 آب 2011، انضمت كلية الفنون الجميلة إلى جامعة أدنبرا مع الدعم الإداري من كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، وهي مؤسسة علمية تشمل أقسام عديدة منها الهندسة (ECA) كلية الفنون الجميلة بأدنبرا تحتوي العلوم المعمارية والتصميم ، التصوير الزيتي، الموسيقا والمسرح، النحت، الكرافيك، الآزياء، وسائل الإعلان الفني، التصوير الضوئي إلخ..(ECA , 2011) ، إلى جانب ذلك تضم الكلية قسم الدراسات العليا لجميع الاختصاصات التابعة إلى قسم البحوث العلمية، وإن عدد طلاب هذه الكلية بما فيها الدراسات العليا لا يتجاوز ألفي طالب وطالبة.

والعديد من خريجي هذه الكلية كان لهم مناصب مؤثرة في مجال الفنون والعمارة. أمثال السيد نيكولاس جريمشاو (Nicholas Grimshaw) كان رئيسًا للأكاديمية الملكية للفنون في لندن 2004، وجون لايتون John Leighton واحد من أبرز الشخصيات في الفن التشكيلي الأوروبي،و يشغل الآن منصب المدير العام لصالات العرض في اسكوتلندا وغيرهم .

وما يلفت النظر أن توجه نشاط الفنانين والمصممين الخرجين من هذه الكلية متزايد خارج حدود الوسائط الفردية، ليس فقط في مجال الفنون التشكيلية بفروعها المختلفة بل أيضًا في مجال وسائل الإعلام المتنوعة والمتشعبة في أسواق عالمية والآخذة في التوسع.(Art reception brochure, 1999) ومكتبة كلية الفنون في أدنبرا تعدُّ أنموذجًا معاصرًا يقتدى به لما تحويه من تكنولوجية عصرية تضم أكثر من 85,000 كتاب واشتراكات لأكثر من 350 مجلة دورية جنبًا إلى جنب مع أشرطة، و أقراص فيديو رقمية، خرائط، شرائح.... الخ جميعها تقدم خدمات في مجالات واسعة للطلبة، وتعمل على توفير بيئة مبتكرة للتعلم وتوفر الموارد التعليمية والأبحاث في الفنون والتصميم، الشكل (4) .

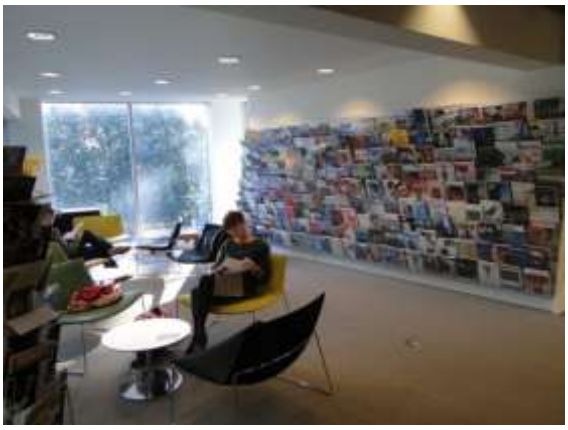

الشكل (4) –مكتبة كلية الفنون – أدنبرا – جناح المجلات الدورية– الباحث

أما أرشيف قسم التصوير الزيتي والرسم ، الذي جرى الاطلاع عليه، فيضم أكثر من ستمائة لوحة زيتية، ودراسة منفذة بمواد مختلفة – من مثل: الفحم و قلم الرصاص والحبر الصيني والألوان المتنوعة وغيرها، ولوحظ أن تأثير الفنون الحديثة والمعاصرة محدود في الأعمال التطبيقية التي تعود إلى بدايات القرن العشرين وحتى منتصفه والمؤرخة من عام 1904، وتعود هذه الأعمال لمشروعات الطلبة في المراحل الانتقالية أو لمشروعات تخرج فتميل معظمها إلى الواقعية الأكاديمية أو إلى موضوعات تقليدية – من مثل: المنظر الخلوي (المنظر الطبيعي) ووضعيات مختلفة لموديلات عارية أو أشخاص، الشكل (5) (6).

الشكل (5)– دراسة خطية لمشروع موديل حي فحم (50×70). 1935. الباحث

الشكل (6) –تصوير زيتي لمشروع موديل عاري (50×70) 1960 الباحث

ويعتقد الباحث أن ظهور تأثير الحداثة وتسارعه جاء اطرادًا مع تقدم التكنولوجيا وتطور التواصل الإعلامي مما أدى إلى استسهال الحرية في اختيار المواد والأدوات وحتى الموضوعات المطروحة، فعكس ذلك بدايات التمرد على التقاليد التدريسية التعليمية أو بداية المحاولة للخروج والانفتاح على الفنون التشكيلية الحديثة والمعاصرة، كما تجلت ملامح هذا التأثير أيضًا في النهج التعليمي الأكاديمي، ولاسيَّما في العقدين الماضيين، وتكشف لنا الأعمال التطبيقية للطلبة في التصوير الزيتي والدراسات المتنوعة لموضوعات سنوات متقدمة سابقة كما نلحظها في الموضوع والشكل اللذين يحملان تأثير الفنون الحديثة والمعاصرة في عدد من المسارات أهمها،:الشكل والتقانات والانفراد في الأسلوب، كما نشاهدها في الشكل(7) (8) ، فتناول هذه االعناصر أعطى للطالب المزيد من الحريات المطلقة والممنوحة في استخدام أدواته الفنية وتطويعها ضمن حلول تشكيلية منسجمة مع المناخ الفني التشكيلي الأوروبي الذي يعايشه الطالب في أثناء دراسته، فهذا مؤشر على دلالة التأثير في الفنون المعاصرة والحديثة التي سيطرت ليس على صعيد تطوير النهج التدريسي، فحسب وإنما أيضًا على مسار الاختصاصات.

الشكل (7)

الشكل (8)

تصوير زيتي – مواد مختلفة على كرتون . تكوين

فأسهم ذلك في استحداث قسم جديد في هيكلية أقسام كلية الفنون – وسائل الفن الجميلة أدنبرا وهذا القسم له علاقة في الفن التركيبي ويتضمن خطة تدريسية تجمع اختصاصات عدة أهمها (النحت، الكرافيك، التصوير، والعمارة) الممزوجة في عمل فني واحد الشكل(9) (10). (Intemedia art)(ECA, 2011)

الشكل (9)
عمل فني . قسم وسائل الفن . مواد مختلفة
رمل ، حصى بيضاء، الباحث

الشكل (10)
عمل فني . قسم وسائل الفن . مواد مختلفة
نايلون، معدن مواد أخرى، الباحث

وحول منهج قسم التصوير يؤكد رئيس قسم التصوير جوردون برّينيان (G . Prennan) في لقاء معه ما يأتي: "نحن نضع الخطة التدريسية السنوية بالتعاون مع بقية الأقسام فتكون بعض المشروعات التطبيقية مشتركة بين الأقسام، ويكون في هذا ما يغني فكرة المشروع ويدعمها لكل اختصاص"[3]. يرى الباحث أن هذا يوافق ويتطابق مع وجهة نظره

3 . لقاء مع رئيس قسم التصوير والرسم جوردون برينان (G . Prennan) بتاريخ 2011/9/30

حول حتمية تأثير هذه الحركات الفنية الحديثة التي جاءت خروجًا عن التقاليد الفنية الكلاسيكية ومدارسها، وذلك في مزج الاختصاصات الأخرى.

ويتحدث البرفسور مول هولاند (Mul Holland) الأستاذ في قسم نظريات نقد الفن عندما سئل – في لقاء معه – عن مدى تأثر المنهج التعليمي بالفن الحديث ؟، قال:

"المنهج التعليمي الأكاديمي له حضور ودور فعال في الخطط التدريسية المنهجية الفنية منذ تأسيس هذا المعهد ولكن تأثير الفن الحديث على المنهج التعليمي الأكاديمي كان ملموسًا منذ بداية العقود الأولى من القرن العشرين، وإن تأثير الفن المعاصر كان أكثر حضورًا في العقدين الأخيرين وتجلى هذا التأثير عندما استحدثت أقسام جديدة في الكلية، وهو قسم وسائل الفن الذي يدعم تطوير العملية التدريسية."[4]

هذا يثبت تأثير الفن المعاصر على خطط المناهج الأكاديمية إذ تتفق هذه النظرة مع وجهة نظر الباحث حول مسألة تأثير الفنون المعاصرة في الوقت الراهن في المناهج التدريسية، ولاسيَّما فيما لمسناه في مضمون القسم الجديد من مبادئ الفن المركب الذي تكلمنا عنه سابقًا، ويتأكد لنا أن هذا التأثير ليس على الخطط المنهجية التدريسية فحسب، بل يطال التأثير في اختيار الطرق التقانية والوسائل الفنية والتعامل معها في تنفيذ المشروعات العملية التطبيقية للطلبة داخل مراسمهم.

على سبيل المثال يمكن أن نستشهد بمشروع الألوان الذي يُعطى للصفوف كافة بآن واحد مدة شهر كامل، يختار الطالب أسلوبًا ومنهجية معينة يبحث فيها عن فكرة التعبير عن الألوان، يبدأ المشروع العملي في البحث عن عنصر ما من الطبيعة يحمل لوناً وشكلاً ثم يحاول الطالب من هذا العنصر تقديم دراسات شكلية ولونية مختزلة ومبسطة تحمل مضمون فكرة اللون المراد التعبير عنه، ومن هنا يدخل الطالب في مجال البحث عن جماليات لونية مكتشفة من هذا العنصر المادي الموجود بالطبيعة ليختم موضوعه بصياغة عمل تشكيلي مبني على اللون والشكل لهذا العنصر الذي انطلق منه، ولكن اللافت للنظر هنا أن الطالب له الحرية التامة في اختيار هذه المادة ويمكن توظيفها في العمل الفني التطبيقي نفسه. الشكلين (11) (12).

الشكل (11)– داخل المرسم .

داخل المرسم . قسم التصوير والرسم. مشروع الألوان – الباحث

الشكل (12) قسم التصوير والرسم.

مشروع الألوان – الباحث

4. لقاء مع رئيس قسم نظريات نقد الفن مول هولاند (Mul Holland) بتاريخ 4 / 10/ 2011

كما نوه رئيس القسم جوردين بيرنييه في قوله :" إن التعامل مع سنوات الاختصاص من السنة الأولى وحتى السنة الرابعة يكون عبر إيديولوجية تعليم ترتبط مباشرة بخطة تدريسية تلائم العصر والتطور الذي نواكبه، وتلبي تطلعات الطلبة ورغباتهم في تحسين أدائهم؛ ولذلك تحتم علينا أن تكون مشروعات السنة الأولى والثالثة مرتبطة مع أقسام أخرى مثل النحت والعمارة وغيرهما بحيث يكون تنفيذ المشروع جماعيا يوحدها عنوانه"[5].

وهكذا نرى مجموعة من الطلبة ينتمون إلى اختصاصات مختلفة، يختارُ بعضُهم بعضًا متعاونين فيما بينهم كل واحد منهم يطرح أفكاره وتصوراته في حوار وتبادل آراء بناءة تخدم الموضوع والتكوين والتشكيل، وهذا يساعد على الارتقاء في تحسين الأداء والنتائج المرجوة، أمَّا السنتان الدراسيتان الثانية والرابعة فتتبعان نظامًا مختلفًا إذ يحتمُّ على طلبة المستوى الثاني العمل خارج الكلية في اختصاصهم على سبيل المثال، أو التدريس في مدارس فنية مستوى إعدادي في صالات عرض فنية (galleries) –أو ثانوي في حين يتابع الطالب واجباته التطبيقية والنظرية في التخصص (الرسم والتصوير) في هذين المستويين.

وتحدث رئيس القسم عن توزيع حصص الدرجات بأن الدرجة تقسم إلى أربعة أقسام: بحوث الرسم والتصوير في الاستيوديو (مرسم الصف) 60% ، واختيار الفكرة للمشروع الحر 20%، وعلى الثقافة البصرية : بحث **بصري** 20% .

يمكن التنويه إلى بعض القضايا المنهجية الأكاديمية المهمة التي لم يمسها أو يطالها التغيير في جميع الأقسام ألا وهي طرق التدريس الأكاديمي لعلوم التشريح الفني (anatomy art) والتي تقف من حيث الأهمية على مسافة واحدة منها، فالعوامل والأسباب التي أدت إلى ثبات منهج هذا المقرر تعود إلى كون هذا المنهج ركناً وقاعدة متينة يساعد على صقل موهبة الطالب خلال مدة دراسته بكل مستوياتها وفي جميع الاختصاصات من دون استثناء.

إن تعلُّم رسم الإنسان بنسبه الصحيحة بدءًا من التدرب على رسم الهيكل العظمي له وانتهاءً برسم عضلاته بالاستعانة بموديل حي من الجنسين ممنهجة ودورية أسبوعية تدعمه وسائل تعليمية مثل الهياكل الجصية مضاعفة الحجم لبعض عضلات الجسد الهامة – ساكنة ومتحركة – تساعد على تعميق الرؤية البصرية وفهمها للطالب في اختصاصه بصفتها قضيّة جوهرية تدعم فهمه وتغنيه، ولاسيَّما في قسم الرسم والتصوير ، وما يثبت عدمَ المساس والتغيير في هذا المقرر ما يكشف لنا من خلال المقارنة بين مشروعات الرسم والتصوير الزيتي المنفذة في أوائل القرن العشرين وبداية الواحد والعشرين على سبيل المثال كما في الشكلين (13) (14)، حيث نرى في هاتين اللوحتين تطابقًا في الطرق المنهجية والتقانية المتبعة في تدريس هذا المقرر تقانيًّا وموضوعيًّا، أو من حيث السوية الممتازة في دقة التنفيذ على الرغم من الفارق الزمني بينهما وهو مؤشر يدلُّ على التواصل والحفاظ على هذه التقاليد بنقلها من جيل إلى جيل بأمانة واهتمام، وهذا يعكس أهمية مقرر التشريح الفني النظري والتطبيقي من الناحية الأكاديمية والتعليمية في توارث الأسلوب التقليدي عبر أكثر من قرنين من الزمن وهذا ما أكده وتحدث به أيضًا عدد من أساتذة قسم الرسم والتصوير.

5 لقاء مع رئيس قسم التصوير والرسم جوردون برينان (G . Prennan) بتاريخ 2011/9/30

الشكل (13)
مشروع رسم – تشريح فني بقلم رصاص
(50×90) سم 1921 – الباحث

الشكل(14)
مشروع رسم – تشريح فني بقلم رصاص (50×73)سم 2002 الباحث

أخيرًا فإنّ تأثير الفنون المعاصرة في بنية كلية الفنون الجميلة في أدنبرا يعكس رغبات الطلبة والأساتذة العلميين القائمين على صياغة الخطة المنهجية لتلك الكلية لتماشي تطوراتِ الفن المعاصر من جهة ومن جهة أخرى لتلبي تطلعات الطلبة الجامحة والطموحة في التعبير عن تصوراتهم الإبداعية والخيالية، التي تكشف عنها من خلال الاستبيان الذي قام به الباحث في قسم الرسم والتصوير ويفيد أن نحو 100%[6] موافقون على ضرورة هذا التغيير والتحديث، وبرأي الباحث أنّ هناك جوانبَ وأهدافاً أخرى يمكن ملامستها، وقد تكون محض صدفة، أو لعلها كانت متعمدة ألا وهي إحياء المنهج الأكاديمي التعليمي وإخراجه من التملل والتكرار في نواحٍ عديدة منها الطرق الكلاسيكية، ولاسيَّما في كيفية الأداء المنهجي التطبيقي في التعامل مع المقررات العملية . وتشكل هنا الفنون المعاصرة بشتى رموزها ومظاهرها نافذة مؤثرة جديدة ومحركة يطلُّ من خلالها الطلبة والأساتذة على حد سواء ، ويمكن الإشارة هنا في هذا الخصوص إلى أهم العوامل التي تساعد على انتقال هذه التأثيرات وتفاعلها في كلية الفنون الجميلة في أدنبرا وأهمها:

<u>أوَّلاً:</u> صالات العرض الموجودة داخل كلية الفنون، والتي تستقطب معارض تشكيلية لأهم فناني العالم في مواسم محددة يقدمون إبداعاتهم ومبتكراتهم التشكيلية، لتكون هذه الأعمال محل جدل واحتكاك مع طلبة الكلية عن قرب مما يثري فكرهم ويغني ثقافتهم البصرية الشكل (15) (16).

6 استبيان ميداني أنجزه الباحث في قسم الرسم والتصوير في كلية الفنون – أدنبرا

الشكل (15)
قاعة العرض الفنية في كلية الفنون أدنبرا الباحث

الشكل (16)
مشروع تطبيقي – قسم وسائل فنية – كلية الفنون – أدنبرا الباحث

ثانيا: المكتبة العصرية الفنية والمزودة بجميع التقانات التكنولوجية عبر أجهزة الكترونية تساعد الطالب على الوصول إلى المرجع أو المعلومة بأقل زمن ممكن.

ثالثا: صالات العرض الفنية (galleriess) التي تنتشر في مدينة أدنبرا بأعداد كبيرة ،تعرض أهم التجارب المحلية والعالمية. ولا ننسى إعلام الفضائيات أو غيرها من وسائل علمية متطورة، وعليه فقد أسهم بالتأكيد في إثراء مدارك الطلاب الحسية، وإغناء أدواتهم كما يعدُّ هذا التأثير بمنزلة حافز جدي ومشجع لتحقيق تطلعات شريحة مهمة منهم ليس في صقل مواهبهم وكشفها فحسب، بل وبالبحث عن أسلوب لوحة مستقبلهم بعد الانتهاء من التعليم الجامعي.

أخيرًا جاء هذا التغير في المنهج التعليمي الفني؛ لكي يلبي مواكبة تطورات التكنولوجيا ومتطلبات العصر، في حين حافظ النظام التدريسي على أكاديمية التعليم للتشريح الفني التقليدي في جميع أقسام الكلية إلى يومنا هذا.

– المنهج التدريسي في قسم التصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق ومقارنته مع قسم الرسم والتصوير في كلية الفنون – أدنبرا

تعدُّ كلية الفنون بدمشق أول مؤسسة علمية لتدريس الفنون الجميلة في سورية، حيث بدأ التدريس فيها بوصفها معهداً عالياً للفنون الجميلة تابع لوزارة التربية في بداية الستينيات من القرن الماضي وكان مقرها في الجسر الأبيض – العفيف، وسُمِّيت بكلية الفنون الجميلة بعد عام 1963 عند انتقالها إلى وزارة التعليم العالي بالمرسوم رقم /84/[7]، وبعد ذلك توالت القرارات في تعديل الخطة الدرسية إلى أن أصبحت تضم خمسة أقسام مستقلة وهي النحت، التصوير الزيتي، الحفر، الإعلان والعمارة الداخلية بالمرسوم رقم /316/ في 9/29/ 1986.

7 كلية الفنون الجميلة – لمحة تاريخية . الموقع الإلكتروني الرسمي لجامعة دمشق2011 .
http://damascusuniversity.edu.sy/faculties/finearts/

والتقى الباحثُ بعضَ خريجي الدفعة الأولى في قسم التصوير من مثل: نشأت الزعبي؛ لمعرفة كيف كان المنهج التدريسي في قسم التصوير؟ إذ قال:

"كان المنهج التدريسي تقليديا وواقعيا يعتمد على الموديل العاري والطبيعة بعيدًا عن تأثيرات الفن الحديث، في حين كان مقرر التشريح بسيطًا للغاية، وهو نظري بصورة عامَّة ويقوم بتدريسه محاضر طبيب أسنان، أمَّا مقرر التقنية والمواد فكان يقوم بتدريسها أساتذة محليون كان أولهم أدهم إسماعيل ثم محمود حماد ومن بعدهما جاء إلياس زيات."[8]

في معرض سؤال آخر طرحه الباحث على علي الصابوني: متى استطاع الطالب أن يبتعد عن تعاليم الواقعية في كلية الفنون الجميلة ليقترب من الفن الحديث؟ فأجاب قائلاً: "لقد كنا في جميع المستويات ملتزمين بالمنهج الواقعي التقليدي في تنفيذ المشروعات التطبيقية إلى أن جاءنا مدرسون من إيطاليا ودول غربية أخرى عام 1964 والذين شجعونا على ممارسة الاتجاهات الحديثة من خلال الاستفادة من المدارس الأوروبية وكان أولهم الأستاذ (لاراجينا) الإيطالي الجنسية الذي عمل على توجيهنا نحو التجريب والتجريد، ومن هنا برأيي بدأت خطة درسية عملية مختلفة سمحت بالخروج عن التقاليد الدرسية الأكاديمية."[9]

استنادًا إلى أقوال كل من الزعبي والصابوني وعلى اطلاع الباحث على منهج قسم التصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق منذ نهاية السبعينيات من القرن الماضي وإلى الآن يرى الباحث أن هذا المنهج لم يشهد أيَّ تطور ملحوظ أو ملموس يصب في بلورة خطة درسية مبنية على أسس علمية وأكاديمية لها خريطة راسخة وواضحة المعالم ، فالمنهج التدريسي في قسم التصوير مازال على حاله منذ السبعينيات أو أبعد من ذلك.

تعود أسباب جمود هذه المنهج وعدم فاعليته إلى معوقات مهمة تقف في وجه تقدمه ورفع سوية إنتاجه وتطوير أدائه الحرفي في مراسمه، ومنها الافتقار إلى الكادر التدريسي المؤهل علميًّا ، بوصفهم اختصاصين وخبراء في تدريس علم التشريح والمنظور الفنيين، إذ مازال هذان المقرران يدرّسان _ إلى أيامنا_ بدعوة بعض الأساتذة المحاضرين الحاصلين على شهادات من غير كلية الفنون الجميلة؛ يعني أنهم بعيدون كل البعد عن ماهية الاختصاص ، وهذا يؤدي إلى توجيه هذه المقررات نحو الطريق النظري الصرف .

ويعدُّ التشريح الفني الركن الأساسي والعمود الفقري في هيكلية المنهج التدريسي بكل معاهد العالم للفنون الجميلة، وهنا مازالت كلية الفنون بدمشق تفتقر إلى أبسط الوسائل التعليمية في تطوير هذا المقرر وإنجاحه ألا وهي المكان المناسب (قاعة لها مواصفات تخدم عملية التدريس أكاديميًّا ذات إنارة يمكن التحكم بها)، والموديل العاري الحي للجنسين من مختلف الأعمار، وأيضًا المجسمات الجصية بحجوم مختلفة لجسم الإنسان تساعد الطالب على فهم قضايا التشريح من كل جوانبه الفنية والتشكيلية. ويُدرّس هذا المقرر في كلية الفنون بدمشق على مدرج يضم أكثر من مئتي طالب لمدرِّس واحد في مقرر نظري بحت من دون تطبيق عملي، وعليه تكون النتائج غير مجدية إذ لا يكاد الطالب يحصل على معلومته التطبيقية والعملية ، فتبقى إدراكاته الحسية في التشريح الفني نظرية صرف ومتواضعة ، بينما في كلية الفنون في أدنبرا يُدرّس المقرر على جلسات تطبيقية لجميع الأقسام في الكلية منفصلة وبالتناوب وعلى مدار الأسبوع بإشراف عدد من الأساتذة المختصين ويجري ذلك في مرسم أو قاعة studio له المواصفات المذكورة أعلاه ويتسع لعدد من الطلبة لا يتجاوز أكثر من عشرين طالبًا.

8 لقاء مع نشأت الزعبي أجراه الباحث – دمشق 2/7/ 2012

9 – لقاء مع علي الصابوني أجراه الباحث – دمشق 2/18/ 2012

وكذالك الأمر لمقرر المنظور الفني، في كلية الفنون في أدنبرا إذ يدرَّس بصورة فصلية ويتضمن مساحة تطبيقية عملية واسعة أكثر منه في كلية الفنون بدمشق وعدد الطلبة في القاعة لا يتجاوز ثلاثين طالبًا يقوم بتدريسهم أساتذة ومساعدين من حملة الشهادات العالية في الفنون الجميلة ويعتمدون في تدريسهم على مراجع تشكيلية مدرسية عديدة لها علاقة بالمنظور الفني بمساعدة الحواسيب .

أمَّا فيما يتعلق بمقرر(تقنية ومواد) فهو أكثر تقدمًا علميًّا بالمقارنة مع سابقاته ويعود السبب إلى من يدرّسونه، وهم مختصون، ومن مؤسسي هذا المقرر إلياس زيات (زيات، 1981) الذي قام بتدريسه أكثر من عقدين من الزمن . وحاليًّا لهذا المقرر مختبر يجري الطلبة فيه تجاربهم بإشراف محاضرين ولكن هذا المختبر ذو إمكانات محدودة ،إذ يفتقر إلى الكثير من الوسائل التعليمية المتطورة.

فيما يتعلق بالجانب العملي في قسم التصوير – أدنبرا ، نرى كما ذكرنا سابقًا أنموذجًا في طريقة تسيير المشروعات العملية وتطبيقها تنطوي على خطة مفتوحة ومرنة تعتمد على إطلاق العنان للتفكير بحرية، والخطة الدرسية العملية في أثناء سير دراسة الطالب ، تتضمن عددا من المحاور، منها هندسة المنظر الطبيعي، التشريح، والموديل الحي بمختلف صوره والطبيعة الصامتة ، وموضوعات حرّة وغيرها. وبالمقارنة مع الخطة الدرسية في قسم التصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق نلمح أنها على الرغم من عدم ثباتها وبلورتها خلال أعوام عديدة لأكثر من خمسين عامًا، استطاعت أن تتأقلم مع الإمكانيات الفقيرة، وفي ظل غياب أبسطها وهو الموديل العاري الحي والمناسب بصوره العديدة على الرغم من أنه كان في الستينيات من القرن الماضي متوفرًا كما نوه عنه الزعبي، وأكده الصابوني في لقائنا معهما. وغياب هذه المفردة العلمية ، بوصفها وسيلة مهمّة للطالب ، يعود برأي الباحث إلى زيادة تأثير التقاليد والأعراف السائدة في المجتمع التي تحول دون تطبيق ذلك، وعليه يبقى المنهج التدريسي غير مكتمل، وقد استطاع عدد قليل من الطلبة أن يغامروا معتمدين على مواهبهم وقدراتهم الفنية في اقتحام هذا المجال (في التصوير الواقعي) ، وحققوا نجاحًا ملموسًا، مثال على ذلك الشكل (17)، وللخروج من هذه المشكلة لجأ بعض الطلاب إلى إيجاد الحلول المناسبة في تقديم مشروعات التطبيق العملي، أو في موضوعات التخرج؛ وهي الابتعاد عن قضايا التشريح الفني وتبنيهم أساليب تجريبية لها علاقة بالفن الحديث، وهذا برأي الباحث يسهم وبصورة تلقائية في الكشف عن الذات عبر تجارب فنية، فيها حرية التعبير عن التشكيل وعن أدوات الطالب المستخدمة، متأثرًا بالفنون المعاصرة عبر المواقع الإلكترونية، وعبر المعارض التشكيلية المحلية والإقليمية وهذا ما نلحظه بصورة عامة في أعمال بعض طلبة التخرج، الشكل (18).

الشكل (17)
لوحة زيتية– من أرشيف التخرج –
قسم التصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق
مقاس 240×180 سم 2006

الشكل (18)
لوحة زيتية – من أرشيف التخرج –
قسم التصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق
مقاس 150×150 سم 2003

وفي معرض المقارنة بين الكليتين من خلال المستوى الفني في أعمال الطلبة نرى هناك تشابهًا في الأداء عند الطالب في تعطشه للابتكار والتعبير عن الذات بطرق مختلفة بعيدًا عن قيود التقاليد الأكاديمية أو المدرسية، وهذا ما أكدته نتائج استبيان يعكس رأي مجموعة من الطلبة في كلية الفنون/ قسم التصوير في دمشق. ويمكن الإشارة هنا إلى أهم المعوقات الأساسية في تطوير أداء الطالب، وتحسين مستواه الفني والتقاني والمعرفي:

– ارتفاع عدد الطلبة المقبولين بما لا يناسب مساحة المراسم والوقائع تدل على ذلك بالإشارة إلى الأعوام الأخيرة من القرن الماضي، حيث كان عدد القبول لا يتجاوز المئة والعشرين لجميع الأقسام بينما الأعوام القليلة الماضية من بداية القرن الواحد والعشرين تجاوز مئتين وخمسين طالبًا والمساحة في المراسم ثابتة، وقد اقتُطع منها أجزاء لتكون مقر مكاتب للأساتذة .

– إن عمل مكتبة الكلية متواضع وغير متطور إذا ما قورن بمكتبة كلية الفنون في أدنبرا.

– اقتطاع جزء كبير من كلية الفنون كان معدًّا لمعرض أو متحف دائم لأعمال تخرج الطلبة المتميزة وأيضًا لصالات عرض تستقبل فيها محافل تشكيلية إقليمية ودولية .

ولكن على الرغم من هذه المعوقات التي تسبب عائقًا في وجه تطوير المنهج التدريسي في قسم التصوير وتحسين أداء الطالب، يرى الباحث بالمقارنة مع إنتاج طلبة قسم التصوير في أدنبرا أن هناك تقاربًا في الأداء والأدوات والمواد المستخدمة، ومن دون أدنى شك التساوي في الموهبة أيضاً ، فتأثيرات الفنون الحديثة والمعاصرة تتجلى عند الطرفين، ولكن باختلاف بسيط بينهما إذ نرى أن التأثير في أعمال التصوير في كلية الفنون في أدنبرا يعكس بعضًا من حركات الفنون المعاصرة ، من (الفيديو أرت) إلى الفن التركيبي ، انتهاء بالمدارس التشكيلية الحديثة وعلى رأسها التجريدية(ريد،1981)، أما في كلية الفنون الجميلة قسم التصوير بدمشق، فإننا نلحظ أن تأثير الفنون التشكيلية المعاصرة منحسر في الفنون الحديثة وذلك لأكثر من عقدين من الزمن، ويمكن القول منذ مطلع الستينيات من القرن الماضي في حين نكشف أنه في كلا القسمين يغلب على تجارب الطلبة انطباع الانفراد بأساليب شخصية والتي تعبر عن رغبة الطالب في التعبير عن خصوصيته ، و قدراته الفنية ، و مدى احتكاكه بالفنون الحديثة والمعاصرة .

هذا ما نلحظه ونستشفه، ليس فقط عند طلبة أدنبرا فحسب، بل عند طلبة دمشق أيضًا.

الاستنتاجات والتوصيات:

الاستنتاجات:

1. إن دراسة تأثير الفنون الحديثة والمعاصرة في المنهج التعليمي الأكاديمي في كلية الفنون الجميلة في أدنبرا هي من الدراسات الأولى وغير المسبوقة، والتي تتطرق إلى التغييرات التي سببتها هذه التأثيرات في العقد الأخير من القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين. إذ إن نتائجها تكمن في كسر التقاليد والأعراف الأكاديمية في طرق التدريس، ولاسيَّما بعد استخدام الحواسيب والإنترنت للتواصل العلمي والمهني بين الكادر التدريسي بوصفها عملية سهلة، توفر الأداء الأفضل، وبزمن أقصر، وبين الطلبة من جهة، والاطلاع والتصفح في صفحات الإنترنت على آخر الإبداعات التشكيلية من جهة أخرى، ممَّا أسهم في التأثير المباشر على إنتاجات الطلبة التطبيقية والعملية.

2. من المؤثرات التي يمكن ملامستها في المنهج التعليمي وطرق تدريسه في قسم الرسم والتصوير التعاون القائم والمباشر بين أقسام الفنون الجميلة في تزاوج المشروعات المشتركة بين الاختصاصات ممَّا يحقق تبادل للرأي ووجهات النظر بين الطلبة؛ وهذا يقود إلى نتائج مثمرة وبناءة. في حين كانت – سابقًا – الأقسام المختصة مستقلة بمناهجها الدراسية وفي إعطاء الدروس التطبيقية والعملية.

3. إن تأثير الفنون المعاصرة الممثلة باتجاهات وحركات فنية أطلقت عليها تسميات ومصطلحات عديدة في العقود الأخيرة من القرن العشرين أثرت بصورة مباشرة، إذ طالت بنية كلية الفنون الجميلة في أدنبرا والتي من نتائجها استحداث قسم جديد باسم وسائل الفن يجمع بين اختصاصات الفنون الجميلة الرئيسية – النحت والعمارة والتصوير.

وهذا دليل قاطع على تغيير آخر ومؤثر في مفهوم التعاطي مع اللوحة المصورة من خلال المنهج التدريسي للفنون الجميلة اختصاص الرسم والتصوير في ظل هذه الحركات التشكيلية المعاصرة.

4. أخيرًا إن الرغبة الجامحة في الانعتاق من القيود الأكاديمية التعليمية وتجاوزها قد أسهم في تفعيل هذه التأثيرات وتقبلها ممَّا أدى إلى إطلاق العنان والحريات عند الطلبة في التعبير عن الذات عبر مفردات اللوحة التصويرية، وهذا ما لمسناه من خلال الاستبيان الذي قمنا به في كلا الكليتين دمشق وأدنبرا والذي يعكس رغبة الطلاب الواحدة في هذا الاتجاه، ولكن يفرض في الوقت نفسه السؤال الآتي: هل هذه النتائج التي أدت إلى تجاوز لبعض الأعراف التقليدية في منهج التدريس التعليمي تعكس تطورًا إيجابيًّا يساعد في الكشف عن المقدرات الفنية الكامنة في ذوات الطلبة وإبرازها أم تنعكس سلبًا على أداء الحرفة التصويرية وتحد من إمكانيات تعلمها ؟ ولاسيَّما أن النتائج _ برأي الباحث_ بما يخص كلية الفنون الجميلة في أدنبرا كانت إيجابية؛ لأن المنهاج التعليمي كما أسلفنا حافظ على تقاليده الأكاديمية في تعليم التشريح والمنظور وتقانات التصوير في مُناخ غني بالوسائل التعليمية المعاصرة؛ وهذا ما جعل حرفة التصوير والرسم متينة وقوية بالتماشي مع تأثير الفنون المعاصرة في جوانب أخرى.

أما السؤال الأخير الذي يطرح نفسه هنا ، هل معاهد الفنون الجميلة وكلياتها في العالم ، ومنها كلية الفنون الجميلة في أدنبرا مقبلة جميعها أو بعض منها عاجلًا أم آجلًا على ذوبان الفواصل بين أقسامها، ولاسيَّما ما لمسه الباحث من تمازج بين هذه الأقسام وتقاربها من دون استثناء ؟! وعليه يصبح المنهج التعليمي للفنون الجميلة على عتبة نظام جديد، أو ولادة تجربة لا تُعرَف نتائجها وعواقبها.

فإذا حدث ذلك وتحقق، فما مصير اللوحة المصورة الزيتية ومستقبلها ومعايير قيمها الجمالية داخل المؤسسات التعليمية للفنون الجميلة ؟

التوصيات:

نتقدم في ختام بحثنا بتوصيات يتعلق معظمها بقسم الرسم والتصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق وأهمها:

– تحديد عدد قبول الطلبة في كلية الفنون في السنة الأولى بما يتناسب مع مساحة المراسم بحيث لا يتعدى مئة طالب للاختصاصات كافة.

– إقرار خطة امتحان معتمدة (تقرها لجنة من مختصين وخبراء) لقبول الطلبة الراغبين بالانتساب إلى كلية الفنون الجميلة ومعاييرها الحكم على الإنتاج الفني والامتحان الثقافي الفني فقط.

– تحديث المكتبة بوصفها إدارة ، وبرمجة إلكترونية مرتبطة بأجهزة حواسيب ومع النت، وإغناؤها بتخصيص جناح خاص للمجلات الدورية العالمية .

– تجهيز قاعة درسية مكرسة لتدريس مادة التشريح الفني لجميع الأقسام بالتناوب وعلى مدار الأسبوع ومزودة بالوسائل العلمية وعلى رأسهم الموديلات العارية بإشراف مختصين ذوي كفاءات علمية وتطبيقية مرموقة.

– إقامة مشروعات تطبيقية عملية مشتركة يشارك فيها الطلبة من أقسام مختلفة تساعد على إغناء أفكارهم وتوجهاتهم الفنية في كلية الفنون الجميلة بدمشق .

– إقامة ورشات عمل وزيارات تطبيقية مشتركة بين طلبتنا في قسم التصوير بدمشق وبقية المعاهد والكليات الفنية الإقليمية والدولية، ولاسيَّما مع كلية الفنون الجميلة في أدنبرا.

– استحداث أقسام تلبي رغبات الطلبة وعلى رأسها انتر ميديا (الإعلام الفني).

– تفعيل صالات العرض في كلية الفنون الجميلة، وعودتها لأحضان الأم والعمل على تجهيز متحف دائم في كلية الفنون الجميلة من أجل أرشفة الأعمال الفنية المميزة، ولاسيَّما المختارة من أعمال مشروعات تخرج الطلبة الأوائل في جميع أقسام كلية الفنون بدمشق.

المراجع

1- بهنسي، عفيف. *تاريخ الفن*. دمشق، 1976، 422، 460 .

2- ريد، هربرت. *الفن اليوم: مدخل الى نظرية التصوير والنحت المعاصرين*. ت: محمد فتحي؛ جرجس عبده. دار المعارف، القاهرة،1981، 200.

3- زيات، إلياس. *مرجع تقنية ومواد في كلية الفنون الجميلة بدمشق* . 1981

4- عثمان، عادل محمد. *العمل الفني المركب وبداية التمرد على التقاليد الأكاديمية في الفن التشكيلي*،2007.
< http://faculty.ksu.edu.sa/74332/Pages/assemblage%20art.asp >

5- الغول، علي فايز. *مفهوم الفن التشكيلي المعاصر ودور الجامعات في تنمية المهارات الفنية*، ورقة بحث،1996.
< http://blogs.najah.edu/staff/emp_1337/article>

6- كلية الفنون الجميلة – لمحة تاريخية . الموقع الإلكتروني الرسمي لجامعة دمشق 2011.
< http://damascusuniversity.edu.sy/faculties/finearts >

7- موري، بيتروليندا. *فن عصر النهضة*. ت: فخري خليل، مراجعة: د. سلمان الواسطي. ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، 243.

8- الهاني، نور الدّين. *الفنون التشكيلية في رحاب التكنولوجيا*،2007 . <http://www.reseaux.edunet.tn/art/index.php?option=com_content&task=view&id>

9- Art reception brochure, Winchester house, Deutsche Bank London, 1999, 53.

10- ECA , Edinburgh College of Art 2012. *Undergraduate degrees* , Edinburgh inspiring Capital ,2011,30.

11- OLIVA, A. B. *Encyclopaedia Of The Word: artist conversation. 1968-2008.* First edition, Skira. Italy, 2010, 414.

12- ORGANSON, V. B; CLINDOGHOF, N. N. *ezobrazitelnogo iscostva 2* . First edition, . ezobrazitelnoe iscostva, MOSCOW, 1988, 242.

13- ROSTOVETSEV, N. N. *Ocherki Po Istorie Metedov Prepodavania Resonka.* First Edition, Izbrazitelnoe Iskoostva, Moscow, 1983, 282.

14- WALDBERG, P; SANOUILET, M; LEBEL, R. *Dada surrealism*. Paris, 1981, 241 – 254.